الحوار القرآني وأثره في تعميق النظر والتأمل

أ. علي سعد سويسي
قسم الشريعة – كلية الشريعة والقانون – العجيلات
جامعة السابع من أبريل

Copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

مقدمة:

إن الناظر إلى سور القرآن الكريم، والمتأمل في آياته سيرى أنه لا تخلو سورة من سوره من دعوة العقل إلى التأمل والنظر في ملكوت السماوات والأرض، ويلمس ذلك واضحا في قصص الأنبياء، وتبليغهم رسالات ربهم، ومحاججة الطغاة والمعاندين، ومجادلتهم، في مشاهد حوارية تدعو الإنسان إلى النظر، والتأمل في خلق الله ودقة صنعه، قال تعالى: ﴿أولم ينظُروا فِي ملَكُوتِ السموات والأرضِ وما خَلَقَ الله مِن شَيءٍ وأَن عسى أَن يكُون قَدِ اقْتَرب أَجلُهم فَبِأَي حدِيثٍ بعده يؤْمِنُون﴾(1).

ومن الملامح الأساسية للمنهج الذي اختطه القرآن الكريم للعقل البشري ليستنير به في مواطن الجدل والحوار ما ورد في الرد على منكري البعث في قوله تعالى في سورة يس: ﴿أو لم ير الإنسان أَنا خَلَقْنَاه مِن نطْفَةٍ فَإِذَا هو خَصِيم مبِين وضرب لَنا مثَلاً ونَسِي خَلْقَه قَالَ من يحيِي العِظَام وهِي رمِيم قُلْ يحيِيها

الذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(2)، وعندما يدعو القرآن الكريم العقل إلى النظر والتأمل، ويحدد له المجالات التي يسير عليها في مواقف الجدل، ومواطن السؤال يكون من أهم العوامل التي دفعت المسلمين إلى التفكير المنطقي السليم الموصل إلى اليقين.

ولإيقاظ الفكر الإسلامي، ولفت العقلية العربية الإسلامية إلى النظر والتأمل في المشاهد الحوارية في القرآن الكريم، واستنباط العبر منها وتطبيقها، وجعلها منهاجا للدعوة والتصدي للهجمات الإلحادية والحملات المضللة التي تستهدف المسلمين وإفساد عقيدتهم، بالحوار الهادف المبني على أسس علمية تعتمد على الأدلة العقلية والحجج المنطقية، بعيدا عن التقليد والتبعية، والتعصب المبني على الجهل والتخلف وعدم الفهم الصحيح للنص القرآني والسنة النبوية، جاء موضوع (الحوار القرآني وأثره في تعميق النظر) ليعمق النظر الإنساني في حقيقة هذا الكون وخالقه، ومدبر أمره، مستهدفا بذلك الآتي:

1) التذكير بمنهجية القرآن الكريم، وأسلوبه في الجدل والحوار ودعوة العقل البشري إلى التحرر من قيود التقليد والتبعية.
2) الأخذ بمنهج القرآن الكريم، في طرح الأدلة والمحاجة كأسلوب للجدل والحوار،في مخاطبة الناس، ودعوتهم إلى دين الحق، والتخلص من الشرك والوثنية .

ولما كان هذا البحث المتواضع لا يتسع لطرح تلك المشاهد الحوارية المتعددة التي وردت في القران الكريم فسيقتصر الباحث على المشاهد الحوارية الآتية:

- الحوار بين نوح عليه السلام وقومه.
- الحوار بين إبراهيم عليه السلام وقومه.
- الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون.

الحوار بين نوح عليه السلام وقومه:

ولد نبي الله نوح عليه السلام بعد وفاة آدم عليه السلام بمئة وست وعشرين سنة، وقيل بمئة وست وأربعين سنة، وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.

ولما طال الأمد وانتشر الفساد في الأرض، وعم البلاء بعبادة الأصنام، والطواغيت، وظهر الشرك، بعث الله نوحا عليه السلام يدعو الناس إلى عبادة الإله الواحد خالق الأرض والسماوات وينذر المشركين ويحذرهم من عقابه الشديد، وعذابه الأليم إن لم يتخلوا عن الشرك والوثنية، وكان نوح أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام.

أرسل الله نوحا عليه السلام إلى قومه (نيوراسب) نسبة إلى ملكهم (بيوراسب)، وقيل أنه كان ساحرا فاجرا، وكان أول من سن الصلب والقطع، وأول من وضع العشور وضرب الدراهم، وذبح الصبيان، وأورد ابن جرير في تاريخه أن نوحا أرسل إلى هذا الملك، وإلى من كان في مملكته، ممن دان بطاعته واتبعه على ما كان عليه من العتو والضلال، والخروج عن طاعة الله(3).

ويصور القرآن الكريم المشهد الحواري بين نوح وقومه في عرض شيق تتجلى فيه حكمة الأنبياء وحلمهم وسداد رأيهم وصدقهم فيما يبلغون عن ربهم، ويبين فيه جهل الكفرة والمعاندين، وإصرارهم على الكفر والعناد، رغم الآيات البينات الدالة على صدق رسله، وأنبيائه قال تعالى: ﴿ ولَقَد أَرسلْنَا نُوحاً إِلَى قَومِهِ إِني لَكُم نَذِير مبِين أَن لا تَعبدوا إِلا الله إِني أَخَافُ علَيكُم عذَاب يومٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الملأُ الَذِين كفَروا مِن قَومِهِ ما نَراك إِلا بشَراً مثْلَنَا وما نَراك اتبعك إِلا الَذِين هم أَراذِلُنَا بادِي الرأْيِ وما نَرى لَكُم علَينَا مِن فَضلٍ بلْ نَظُنُكُم كاذِبِين﴾(4).

Copy from bulletin.Tripoli.edu.ly

وما إن صدع نوح عليه السلام بما أمره الله، وجهر بدعوته إلى عبادة الله وحده والتحرر من أوهام الشرك والوثنية، سارع كبراء القوم وسادتهم إلى رفض دعوته وتكذيبه والسخرية منه وممن تبعه، وهذه صفة كل الفجار والضالين المتكبرين في كل زمان ومكان يعميهم طغيانهم عن الحق فيرون أنهم هم الذين على الحق، وتأخذهم العزة بالإثم، وأن غيرهم من المستضعفين هم الضالون، قال تعالى في سورة المطففين: ﴿إِن الذِين أَجرموا كانُوا مِن الذِين آمنُوا يضحكُون وإِذَا مروا بِهِم يتَغَامزون وإِذَا انقَلَبوا إِلَى أَهلِهِم انقَلَبوا فَكِهِين وإِذَا رأَوهم قَالُوا إِن هؤُلاءِ لَضالون وما أُرسِلُوا علَيهِم حافِظِين﴾(5).

هذا وقد بنى الملأ من قوم نوح معارضتهم إياه على مقدمات ثلاث اعتبروها أدلة مرجحة لمعارضتهم، الأولى قولهم: "ما نراك إلا بشر مثلنا" أي أنه لو كان رسولا لما كان بشرا، وبما أنه بشر فهو إذن ليس برسول. وهذا ديدن كل الطغاة والمتعالين، يروا أنهم أرقى من أن يدعوهم بشر مثلهم . قال تعالى: ﴿ذَلِك بِأَنه كانَت تَأْتِيهِم رسلُهم بِالْبينَاتِ فَقَالُوا أَبشَر يهدونَنَا﴾.

وكما قال فرعون وملؤه ﴿أَنُؤْمِن لِبشَرين مِثْلِنَا وقَومهما لَنَا عابِدون﴾ وهذا ما دأبت عليه أكثر الأمم، إذ قالت لرسلهم ﴿إِن أَنتُم إِلا بشَر مثْلُنَا تُرِيدون أَن تَصدونَا عما كان يعبد آباؤُنَا فَأْتُونَا بِسلْطَانٍ مبِينٍ﴾.

الثانية قولهم: ﴿وما نَراك اتبعك إِلا الذِين هم أَراذِلُنَا بادِي الرأْيِ﴾. رأوا في عدم اتباع السادة والأغنياء ووجهاء القوم أصحاب الرأي والروية واتباع مجموعة من الضعفاء الذين يستجيبون للأمور بدون تفكر وتدبر حسب زعمهم دليل على تكذيبه وبطلان رسالته.

الثالثة قولهم: ﴿وما نَرى لَكُم علَينَا مِن فَضلٍ﴾، وبنعتهم نوحا بأنه رجل مثلهم، لا يختلف عنهم في شيء ولا يملك ما يميزه عنهم من ملك أو جاه أو

سلطان، وأن الذين اتبعوه هم من أسافل القوم وضعفائه يرون أن نوحا واتباعه ليس لهم أي فضل عليهم حتى يكونوا دعاة لهم في مقام الهداية والنبوة (6).

وبعد إيرادهم هذه المقدمات التي عدوها أدلة مرجحة لمعارضتهم ختموها بقولهم ﴿بلْ نَظُنكُم كاذِبين﴾ كنتيجة لمقدماتهم الاستدلالية وقد سلك نوح عليه السلام في مجادلة قومه والرد عليهم أفضل الطرائق وأوضح الأساليب في إبطال أدلة معارضتهم، وتفنيد شبهاتهم، ونقضها، واحدة تلو الأخرى، فرد على قولهم بأنه بشر مثلهم بقوله : ﴿يا قَومِ أَرأَيتُم إِن كُنتُ علَى بينَةٍ من ربي وآتَانِي رحمةً من عِندِهِ فَعميتْ علَيكُم أَنُلْزمكُموها وأَنْتُم لَها كَارهون﴾ جاء رده متضمنا نقطتين:

1- إن الاصطفاء بالرسالة أمر من الله فهو يصطفي من يشاء ممن خلق بشرا كان أم ملكا أم غير ذلك.

2- يبين لهم أنه على يقين من أنه نبي مرسل رحمة من الله به وبهم وإن كانوا لم يهتدوا إليها، ولم يعرفوا قدرها الأمر الذي جعلهم يبادرون إلى تكذيبها وردها.

وجاء رده الثاني على قولهم بأن الذين اتبعوه من الضعفاء والفقراء الذين لا يتثبتون في الأمور بقوله : ﴿ويا قَومِ لا أَسأَلُكُم علَيهِ مالاً إِن أَجرِي إِلا علَى اللهِ وما أَنَا بِطَارِدِ الَذِين آمنُوا إِنهم ملاقُوا ربهم ولَكِني أَراكُم قَوماً تَجهلُون ويا قَومِ من ينصرنِي مِن اللهِ إِن طَردتهم أَفَلا تَذَكرون﴾(7).

ويتضمن هذا الرد أن نوحا عليه السلام قد بين لهم أنه ليس بطالب مال، حتى يقرب إليه الأغنياء طمعا في مالهم، ويطرد الفقراء بسبب فقرهم، كما يفهم من هذا الرد أيضا أنهم قد عرضوا عليه مالا شريطة أن يطرد الفقراء من مجلسه لعلهم إذا فعل ذلك يجعلهم اقرب لأتباعه وتصديقه.

Copy from bulletin.zaprmu.edu.ly

وفي هذا دليل على أن الطغاة وأئمة الكفر على مر التاريخ أفكارهم وآراؤهم واحدة لا تتغير ولا تتبدل، فهذا الذي حصل مع أول رسول للبشرية نوح عليه السلام، يحصل أيضا مع آخر رسول للبشرية محمد صلى الله عليه وسلم، حيث طلب أغنياء قريش وسادتها من محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق عمه أبي طالب، أن يطرد المسلمين من موالي سادة قريش، وعبيدهم وعتقائهم، الذين أسلموا، واتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم(8).

ويأتي الرد الثالث على دعواهم التي يزعمون فيها أن نوحا عليه السلام ومن تبعه لم يتميزوا عليهم بمال ولا جاه ولا سلطان فقال نوح عليه السلام في رده لهذه الشبه ﴿ولاَ أَقُولُ لَكُم عِندِي خَزائِن اللهِ ولاَ أَعلَم الغَيب ولاَ أَقُولُ إِني مَلَك ولاَ أَقُولُ لِلذِين تَزدري أَعينُكُم لَن يؤْتِيهم الله خَيراً الله أَعلَم بِما فِي أَنفُسِهم إِني إِذاً لمِن الظالِمِين﴾(9).

ويتضمن هذا الرد بان الذين يسخرون منهم وينظرون إليهم نظرة ازدراء واستهزاء من الذين اتبعوا نوحا عليه السلام هم أفضل مكانة عند الله وأنه ليس بطاردهم، ولو فعل ذلك فسوف يعرض نفسه لعقاب الله، كما بينت الآية 29، 30 من سورة هود التي وردت قبل قليل.

وبعد هذا الجدال المفحم، الذي ظهر فيه عجز الكافرين من قوم نوح عليه السلام، أمام الحجج والبراهين، وتبين لهم عدم قدرتهم على ثني نوح عليه السلام، ومن تبعه على دعوتهم لجأوا إلى أسلوب التهديد والوعيد وهذه حجة العاجز دائما.

فبدأوا بالتحرش معه ﴿قَالُوا يا نُوح قَد جادلْتَنَا فَأَكْثَرتَ جِدالَنَا فَأْتِنَا بِما تَعِدنَا إِن كُنتَ مِن الصادِقِين﴾(10) ثم بينوا حقيقتهم وكشفوا عن نواياهم الخبيثة التي تدعوهم إلى الانتقام من نوح، ومن تبعه، ﴿قَالُوا لَئِن لم تَنتَهِ يا نُوح لَتَكُونَن

Copy from bulletin.zaptiu.edu.ly

من المرجومين﴾(11)، وهذا ما دأب عليه كل المكذبين للرسل والمنكرين لرسالات السماء وقد ورد ذكر أمثالهم في القرآن كثيرا.

ولما يئس نوح من اتباعهم له وتبين له إصرارهم على الكفر والعناد توجه إلى ربه شاكيا صبره عليهم، وما لقي منهم رغم تعدد الأساليب التي اتبعها معهم، والسنون التي قضاها بينهم، رجاء هدايتهم، ولم يزدهم ذلك إلا الإصرار على الكفر به وتكذيبه، وأورد القرآن الكريم تلك الشكوى بأسلوب شائق في صورة تقرير ختامي يقدمه نوح عليه السلام لربه، يبين فيه ما قام به طوال ألف سنة إلا خمسين من الدعوة ليلا ونهارا، وسرا وجهرا، شارحا لهم طريق الرجوع إليه بالتوبة والاستغفار مبينا لهم آيات الله في خلقهم أطوارا، وخلق السماوات والأرض وما فيهن من آيات دالة على وحدانية الخالق وعظمته، إلا أن ذلك لم يزدهم إلا إصرارا وبعدا عن الحق، والتمسك بالشرك، وعبادة الأوثان، والتكبر والاستعلاء.

قال تعال على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رب إِني دعوتُ قَومِي لَيلاً ونَهاراً فَلَم يزِدهم دعائِي إِلا فِراراً وإِني كُلما دعوتُهم لِتَغْفِر لَهم جعلُوا أَصابِعهم فِي آذَانِهِم واستَغْشَوا ثِيابهم وأَصروا واستَكْبروا استِكْباراً ثُم إِني دعوتُهم جِهاراً ثُم إِني أَعلَنتُ لَهم وأَسررتُ لَهم إِسراراً فَقُلْتُ استَغْفِروا ربكُم إِنه كَان غَفاراً يرسِلِ السماء علَيكُم مدراراً ويمدِدكُم بِأَموالٍ وبنِين ويجعل لَكُم جناتٍ ويجعل لَكُم أَنْهاراً ما لَكُم لاَ تَرجون لِلهِ وقَاراً وقَد خَلَقَكُم أَطْواراً أَلَم تَروا كَيفَ خَلَقَ اللَّه سبع سماواتٍ طِباقاً وجعلَ القَمر فِيهِن نُوراً وجعلَ الشمس سِراجاً﴾(12).

وبعد كل هذا الجهاد والعناء والصبر على الأذى، وبعد الإنذار، وبعد الوعد بالمال والبنين والرخاء، لم يكن من قوم نوح عليه السلام، إلا العصيان والسير وراء القيادات الضالة المضللة، التي أطغاها المال والبنون، وهذا شأن

كل قيادة ضالة تجمع الناس حول أصنام الأحجار، وأصنام الأشخاص، وأصنام الأفكار(13).

يتحول نوح عليه السلام إلى الدعاء على الظالمين، لأنهم لا يستحقون الهدى، قال: ﴿وقَد أَضلوا كثِيراً ولا تَزِدِ الظالِمِين إلا ضلالاً﴾، ثم ذكر أنهم لا يستأهلون النجاة وأنه لو نجى منهم واحدا سيضل عبادك المؤمنين وذلك بفتنتهم عن عقيدتهم بالقوة الغاشمة، أو بفتنة قلوبهم بما ترى من سلطان الظالمين، كما يعملوا على إيجاد بيئة تطبع الصغار بالكفر، ولا تتح لهم فرصة يرون فيها النور(14) ﴿وقَالَ نُوح رب لا تَذَر علَى الأرضِ مِن الكافِرِين دياراً إنك إن تَذَرهم يضِلوا عِبادك ولا يلِدوا إلا فَاجِراً كفاراً﴾(15).

وينتهي المشهد باستجابة الله لدعاء نوح عليه السلام، بإغراق أولئك الكفرة المعاندين ومن تبعهم ونجاة نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وهكذا كانت عاقبة المكذبين الخسران في الدنيا والآخرة، والفوز والنجاة للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿فَدعا ربه أَني مغْلُوب فَانتَصِر﴾(16)، وبذلك تكون معجزة الطوفان، وإغراق الطغاة والمعاندين، من قوم نوح عليه السلام، دعوة صريحة لتحرير العقل الإنساني من أوهام الشرك، والوثنية، وعبادة البشر والحجر، وعبرة لكل من يتفكر ويتدبر في آيات القران الكريم، وينظر في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بأن العاقبة للمتقين، الذين يتبعون أنبياء الله ورسله، ويؤمنون بما يبلغونه عن ربهم، الخالق لكل شيء والقادر عليه.

وللتأكيد على أثر المشاهد الحوارية في القرآن الكريم على تعميق النظر، وتحرير الفكر الإنساني، من التبعية المضللة، والتمسك بأوهام الشرك، أورد مشهدا آخر من المشاهد الحوارية التي أوردها القرآن الكريم في هذا الصدد.

الحوار بين إبراهيم عليه السلام وقومه:

نشأ إبراهيم الخليل عليه السلام في بيئة وثنية، يعبد أهلها الأصنام ويقدسونها، إلا أن الهداية الربانية والعناية الإلهية أحاطت بإبراهيم، منذ صغر سنه ومنحته من العقل ما جعله مفكرا ناظرا في ملكوت السماوات والأرض، باحثا عن حقيقة هذا الكون، وسر وجوده، وصولا إلى الإيمان الصادق، والمعرفة اليقينية، بان هذا الكون لا بد أن يكون له خالق واحد، هو المدبر لأمره، المتصرف في شؤونه، قال تعالى: ﴿وكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السمواتِ والأرضِ وليكُونَ مِنَ الموقِنِين فَلَما جن عليهِ الليلُ رأى كوكباً قالَ هذَا ربي فلما أَفَلَ قالَ لا أُحِبُ الآفِلِين فلما رأى القَمر بازغاً قالَ هذَا ربي فلما أَفَلَ قالَ لئِن لم يهدِنِي ربي لأكُونَن مِن القَومِ الضالين فلما رأى الشمس بازغَةً قَالَ هذَا ربي هذَا أَكْبر فلما أَفَلَتْ قالَ يا قَومِ إني بريء مما تُشْرِكُون إني وجهتُ وجهي لِلذِي فَطَر السمواتِ والأرض حنِيفاً وما أَنَا مِن المشْرِكِين﴾(17).

وتبين لإبراهيم أن العقل البشري مهما بلغ من السلامة والصفاء فهو قاصر عن المعرفة اليقينية.

وفي هذا دليل على أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا يعبدون النجوم والكواكب, بالإضافة إلى الأصنام التي كانوا يصنعونها، الأمر الذي دعاه إلى التوجه إلى قومه، وإبلاغهم بأنه بريء مما يعبدون من دون الله.

وحاجه قومه في الله الواحد الخالق، وحذروه من التعرض لآلهتهم بأي سوء، فيلحقه بذلك الأذى والضرر منها.

إلا أن إبراهيم عليه السلام صار على يقين من أن هذه الآلهة لا تضر ولا تنفع، إنما الضار والنافع هو الله الخالق، بديع السماوات والأرض، لا ينازعه في ملكه أحد.

قال تعالى: ﴿وحاجه قومه قالَ أتُحاجوني فِي اللهِ وقد هدان ولا أخَافُ ما تُشْركُون بِهِ إلا أن يشاء ربي شيئاً وسِع ربي كُل شَيءٍ عِلْماً أفَلا تتَذَكرون وكيفَ أخَافُ ما أشْركْتُم ولا تَخَافُون أنكُم أشْركْتُم بِاللهِ ما لَم ينزلْ بِهِ علَيكُم سلْطَاناً فَأي الفَرِيقَين أحق بِالأمن إن كُنتُم تَعلَمون﴾[18].

ويبين النص القرآني الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام، وبين أبيه وقومه، في الأمر الذي وجهه رب العزة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، في أن يقص على كفار قريش وينبئهم بما دار من حوار بين إبراهيم عليه السلام وقومه، لأن الموقف هنا مع كفار قريش في شركهم وعبادتهم للأصنام مشابه تماما لقوم إبراهيم في وثنيتهم وشركهم.

ومن خلال هذا النبأ يتبين لهم أن هذه الأوثان التي يعبدونها أنها لا تضر ولا تنفع، كما بين إبراهيم عليه السلام ذلك لقومه.

قال تعالى: ﴿واتْلُ علَيهم نَبأَ إِبراهِيم إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وقَومِهِ ما تَعبدون قَالُوا نَعبد أَصنَاماً فَنَظَل لَها عاكِفِين قَالَ هلْ يسمعونَكُم إِذْ تَدعون أَو ينفَعونَكُم أَو يضرون قَالُوا بلْ وجدنَا آباءنَا كَذَلِك يفْعلُون قَالَ أَفَرأَيتُم ما كُنتُم تَعبدون أَنتُم وآباؤُكُم الأَقْدمون فَإِنهم عدو لي إِلا رب العالَمِين﴾[19].

ويعود عليه السلام ليؤكد لقومه بالدليل الملموس أن هذه الأصنام التي يعبدونها لا تضر ولا تنفع، وإنها عبارة عن حجارة صماء عمياء، لا تسمع ولا ترى، لا حول لها ولا قوة، فاختار يوما خرج فيه القوم إلى عيد لهم، خارج البلد، وانهال على تلك الأصنام فحطمها إلا واحدا كان أكبرها، فلما رجعوا عرفوا أن الذي فعل ذلك هو إبراهيم عليه السلام، فأتوا به على مشهد من الناس، وسألوه،أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ وهم يعرفون أنه هو الذي فعل ذلك.

ورأى أن يجيب عن سؤالهم، إجابة تجعلهم يرجعون إلى عقولهم ويستوضحون أمر تلك الأصنام، التي يصنعونها بأيديهم من الخشب والحجارة ويقرون بأنفسهم أنها لا ترى ولا تسمع ولا تنطق، وبإقرارهم هذا يتبين لهم سفههم وتعطيل عقولهم عن التفكير السليم، باتخاذهم تلك الأصنام آلهة يقدسونها ويدينون لها بالولاء والطاعة، لعل في ذلك إيقاظ لعقولهم، وتذكيرهم بأن المستحق للتقديس والطاعة والعبادة هو الله خالقهم، وخالق كل شيء، فقال لهم بان الذي فعل ذلك كبيرهم فسألوهم إن كانوا ينطقون.

وكان له ما أراد، من انتباههم ورجوعهم إلى الحقيقة، واعترافهم بأنهم مخطئون، وكادوا يتحررون من تقليد آبائهم، وكبرائهم، مثل النمرود وغيره من الذين أضلوهم، وافسدوا عقولهم، إلا أن عنادهم واستكبارهم وإصرارهم على الكفر جعلهم يرجعون بالسؤال على إبراهيم عليه السلام، كيف تطالب منا أن نسألهم وأنت تعلم أنهم لا ينطقون؟ ويلزمهم إبراهيم عليه السلام الحجة، فمادمتم تعلمون أنهم عاجزون عن ذلك، فكيف تتخذونهم آلهة تعبدونهم من دون الله، وتقدمون لهم القرابين فأين عقولكم إذا؟

ويورد القرآن الكريم ذلك المشهد في أسلوب حواري رائع قال تعالى : ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعلْتَ هذَا بِآلِهتِنَا يا إِبراهِيم قَالَ بلْ فَعلَه كَبِيرهم هذَا فَاسأَلُوهم إِن كَانُوا ينطِقُون فَرجعوا إِلَى أَنفُسِهِم فَقَالُوا إِنكُم أَنتُم الظالِمون ثُم نُكِسوا علَى رءوسِهِم لَقَد علِمتَ ما هؤُلَاءِ ينطِقُون قَالَ أَفَتَعبدون مِن دونِ اللهِ ما لَا ينفَعكُم شَيئاً ولايضركُم أُفٍّ لَكُم ولِما تَعبدون مِن دونِ اللهِ أَفَلَا تَعقِلُون﴾(20).

وبعد هذا الحوار، الذي تبين فيه لقوم إبراهيم عليه السلام بالحجة الدامغة بأن الأصنام التي يعبدونها عبارة عن أحجار، وأخشاب، لا تملك لهم ولا لنفسها نفعا ولا ضرا، أخذوه إلى النمرود، الطاغية الذي ادعى الإلوهية، وأضل قومه.

Copy from bulletin.7april.edu.ly

ووجد إبراهيم عليه السلام نفسه أمام النمرود، يحاججه في ربه الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يحي ويميت، ووقف إبراهيم عليه السلام وقفة الواثق من ربه، أنه سينصره.

قال تعالى: ﴿يا أَيها الذِين آمنُوا إِن تَنصروا الله ينصركُم ويثَبتْ أَقْدامكُم﴾(21).

وتصدي بمنطق العقل، لدحض كل باطل، وكل عقيدة فاسدة، مبرهنا على ذلك بالأدلة العقلية، والحجج المنطقية، التي تفقد الخصم منطقه، فيقف مبهوتا حائرا، لا يجد جوابا، وهو الذي يدعي لنفسه الإلوهية والقدرة على كل شيء.

قال تعالى: ﴿أَلَم تَر إِلَى الذِي حاج إِبراهِيم فِي ربهِ أَن آتَاه الله الملْك إِذْ قَالَ إِبراهِيم ربي الذِي يحيِي ويمِيتُ قَالَ أَنَا أُحيِي وأُمِيتُ قَالَ إِبراهِيم فَإِن الله يأْتِي بِالشمسِ مِن المشْرِقِ فَأْتِ بِها مِن المغْرِبِ فَبهِتَ الذِي كَفَر والله لا يهدِي القَوم الظالِمِين﴾(22).

ولا يجد النمرود بعد أن ألجمته الحجة عن الكلام، إلا الإصرار على الكفر والعناد، والمكابرة واللجوء إلى الانتقام، من إبراهيم عليه السلام، والتخاص منه بإحراقه بالنار، ليكون عبره لغيره وحتى لا يكون هناك من يدعو إلى الحق وطريق الرشاد، ونادي في الناس أن يجمعوا حطبا كثيرا، ونفذ الظالمون ذلك الأمر وبنوا له حظيرة وجمعوا فيها حطبا كثيرا(23).

وكان هدفهم من ذلك أمرين: أحدهما أن يتراجع إبراهيم عن دعوته، الأمر الثاني: بث الرعب والخوف في نفوس بعض من القوم الذين بدأوا يراجعون أنفسهم، ويحكمون عقولهم، ويفكرون في تلك الحقائق، التي قال بها إبراهيم عليه السلام، فيما يتعلق بحقيقة الأصنام، وعجز النمرود، أمام ما أظهره إبراهيم عليه السلام من حجج وبراهين.

قال تعالى: ﴿قَالُوا ابنُوا لَه بنْياناً فَألْقُوه فِي الجحِيمِ فَأرادوا بِهِ كيداً فَجعلْنَاهم الأسفَلِين﴾[24]، وأيقن كل من حضر ذلك المشهد أن إبراهيم عليه السلام لن يبقى له اثر، ولن تبقى له باقية، ولكن ما الذي حدث بعد أن خمدت النار وانطفأ لهيبها؟

تملكت الحاضرين الدهشة والاستغراب، وشخصت أبصارهم، وانعقدت ألسنتهم عن النطق، وتوقفت عقولهم عن التفكير؛ لأن المشهد لا تصدقه العيون ولا يدركه العقل، فإبراهيم عليه السلام مازال جالسا كما هو، لم تمس النار من جسده أي شيء، واكتفت بحرق وثاقه الذي قيدوه به فقط.

وعلى الرغم من هذه المعجزة الماثلة أمامهم لم يرجعوا عن كفرهم، وعنادهم ويدركوا خطأهم، وظلمهم في تصديقهم ادعاء النمرود الإلوهية، وأنه يحيي ويميت ألم يأن لهم بعد هذا أن يوقنوا أن الذي يحيي ويميت هو الله، الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي آمن به إبراهيم، ودعاهم للإيمان به، وعبادته وحده ولا يشركوا به شيئا، ولكنهم عطلوا عقولهم عن مراجعة أنفسهم وعن إدراك الحقيقة والاعتراف بها تماديا في الكفر والعناد، فختم الله على قلوبهم وأعمى بصائرهم.

قال تعالى: ﴿إن الذِين كفَروا سواء علَيهم أأنذَرتَهم أم لَم تُنذِرهم لاَ يؤْمِنُون خَتَم الله علَى قُلُوبِهم وعلَى سمعِهم وعلَى أَبصارِهِم غِشَاوةٌ ولَهم عذَاب عظِيم﴾[25].

ومن خلال تلك المشاهد الحوارية الفلسفية يوجه القران الكريم العقل البشري إلى النظر، والتأمل، فيما حوله من الأشياء، التي في كثير منها لا طاقة له بإدراك كنهها، ولا معرفة ما تتصف به من خصائص، فعليه أن يسال نفسه من الذي اوجد تلك الأشياء؟ ومن الذي منحها تلك الخصائص؟ حتى تتبين له

Copy from bulletin.7april.edu.ly

حقيقة تلك الأشياء ومن أوجدها، ومن خصها بتلك الخصائص؟ ولخدمة من أوجدت؟

وفي هذا إشارة واضحة، ودعوة صريحة، للإنسان، للنظر والتأمل، والتفكر والتدبر في نفسه، وفيما حوله حتى يصل إلى حقيقة الخالق، الذي خلق هذا الكون، وما يحويه، وأنه هو الذي أعطى لكل شيء خاصيته، والصورة التي ارتضاها له.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عالِم الغَيبِ والشهادةِ العزيز الرحِيم الذِي أَحسن كُل شَيءٍ خَلَقَه وبدأ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ ثُم جعلَ نَسلَه مِن سلالةٍ من ماءٍ مهينٍ ثُم سواه ونَفَخَ فِيهِ مِن روحِهِ وجعلَ لَكُم السمع والأبصار والأَفْئِدةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرون﴾(26).

ولكن الغافلين المعطلين لعقولهم، يشاهدون الكثير من الآيات ويمرون عليها، ويعايشونها، ولا ينتبهون لها، وهي علامات توجه عقولهم نحو التفكر والتذكر، وتحثهم على التحرر والتخلص من العبودية لغير الله، وان يتوجهوا مخلصين بعبادتهم لله، الذي خلقهم، وسخر لهم ما في الأرض جميعا، فلو تأمل هؤلاء وفكروا في أنفسهم، وفي ما حولهم لأدركوا الحقيقة وتبين لهم الحق. قال تعالى : ﴿ أَو لَم يتَفَكروا فِي أَنفُسِهم ما خَلَقَ الله السمواتِ والأرض وما بينَهما إِلا بِالْحقّ وأَجلٍ مسمى وإِن كَثِيرا مِّن الناسِ بِلِقَاءِ ربِّهم لَكافِرون﴾(27).

وقال تعالى: في آية أخرى ﴿سنُرِيهم آياتِنَا فِي الآفَاق وفِي أَنفُسِهم حتى يتَبين لَهم أَنه الحق أَو لَم يكْفِ بِربك أَنه علَى كُل شَيءٍ شَهِيد﴾(28).

وزيادة في تأكيد اثر المشاهد الحوارية التي يوردها القران الكريم في تحرير العقل الإنساني، من أوهام الشرك وضلالات المشركين، أتناول مشهدا حواريا آخر من المشاهد المتعددة التي أوردها القران الكريم في هذا الشأن.

Copy from bulletin.7asmu.edu.ly

الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون:

حدد القران الكريم في هذا الحوار المنهج الذي يتبعه موسى عليه السلام مع فرعون في دعوته للإيمان بالله فاطر السماوات والأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿اذْهبا إِلَى فِرعون إِنه طَغَى فَقُولا لَه قَولاً لَيناً لعله يتَذَكر أَو يخْشَى﴾(29).

وبعد أن بين الله لموسى وأخيه هارون الطريقة والأسلوب، الذي يسلكانه مع فرعون، في دعوته إلى الإيمان بالله الواحد الخالق. أمرهما بأن يعرفاه بأنهما مرسلان من رب العالمين، وأن يطلبا منه أن يرسل معهم بني إسرائيل ولا يعذبهم.

قال تعالى: ﴿فَأْتِياه فَقُولا إِنا رسولا ربك فَأَرسِلْ معنَا بنِي إِسرائِيلَ ولا تُعذبهم قَد جِئْنَاك بِآيةٍ من ربك والسلام علَى من اتبع الهدى﴾(30).

وهنا يبدأ الحوار، ويسال فرعون موسى وهارون يريد من ذلك استيضاح أمرهما فيمن هو الرب الذي يؤمنان به، ولعله كان يتوقع أن يسمع منهما جوابا غير الذي سمعه من موسى عليه السلام ﴿قَالَ فَمن ربكُما يا موسى﴾(31)، ويجيب موسى مسفّها توقعات فرعون قائلا ﴿قَالَ ربنَا الَّذِي أَعطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَه ثُم هدى﴾(32).

وأدرك فرعون أن موسى وهارون لا يعترفان بربوبيته التي ادعاها، فتحول إلى موضوع آخر ليظهر من خلاله جهل موسى بحسب ظنه، وعدم قدرته على الجواب ﴿قَالَ فَما بالُ الْقُرون الْأُولَى﴾(33).

ويرد موسى عليه السلام بالهام الأنبياء، وحكمة العقلاء، التي تقطع عن الخصم كل طريق للمحاجة، وأكد له أن أخبار تلك القرون وعلمها عند الله، الذي لا يضل ولا ينسى، ولا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قال تعالى: ﴿قَالَ عِلْمها عِند ربي فِي كِتَابٍ لا يضِل ربي ولاَ ينسى الِذي جعلَ لَكُم الأَرض مهداً وسلَك لَكُم فِيها سبلاً وَأَنزلَ مِن السماءِ ماء فَأَخْرجنَا بِهِ أَزواجاً من نباتٍ شَتى كُلُوا وارعوا أَنْعامكُم إِن فِي ذَلِك لآياتٍ لأُولِي النهى مِنْها خَلَقْنَاكُم وفِيها نُعِيدكُم ومِنْها نُخْرِجكُم تَارةً أُخْرى﴾(34).

رد موسى علم تلك القرون وأخبارها إلى الله، واستطرد في ذكر الآيات البينات في الأرض موجها فيها الخطاب إلى فرعون وقومه، مبينا أن تلك الأنعم التي هم فيها هي من عند الله، الذي عنده علم القرون الأولى، التي يسأل عن أخبارها.

وقصد موسى عليه السلام من ذلك لفت انتباه فرعون، وإيقاظ عقله من غفلته، ولسان حاله يقول له انتبه وانظر وتأمل، من الذي جعل لكم الأرض ممهدة؟ ومن الذي سلك فيها هذه الطرق والوديان والشعاب؟ ومن الذي ينزل المطر؟ ومن الذي يخرج هذه النباتات والأشجار التي تأكلون منها وترعون فيها مواشيكم وحيواناتكم؟ ولكن فرعون بدل أن يرجع إلى نفسه، ويقبل الحق وينقاد له عمى وصم، واستمر في عناده وطغيانه، وإعراضه عن الآيات البينات، التي أراه إياها موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَكَذب وعصى ثُم أَدبر يسعى فَحشَر فَنَادى فَقَالَ أَنَا ربكُم الأعلَى فَأَخَذَه الله نَكَالَ الآخِرةِ والأولَى﴾(35).

وقد دعاهم إلى الاعتراف له بالإلوهية، ثم ذكر انه ليس هناك إله غيره، فأجابوه إلى ذلك لنقص في عقولهم، وخلل في أذهانهم وفساد في اعتقادهم(36).

قال تعالى: ﴿ونَادى فِرعون فِي قَومِهِ قَالَ يا قَومِ أَلَيس لِي ملْك مِصر وهذِهِ الأَنْهار تَجري مِن تَحتِي أَفَلا تُبصِرون﴾(37).

Copy from bulletin.7april.edu.ly

وقال تعالى في آية أخرى ﴿فَاستَخَفَ قَومه فَأطَاعوه إِنهم كَانُوا قَوماً فَاسِقِين﴾(38).

ثم حاول أن يبين لهم أنه لا يجرأ احد على مثل هذا التحدي، إلا إنسان مجنون فاقد العقل ﴿قَالَ إِن رسولَكُم الذِي أُرسِلَ إِلَيكُم لَمجنُون﴾(39).

ويستمر موسى عليه السلام في تأكيد أن ربهم ورب آبائهم الأولين هو رب السماوات والأرض، ورب المشرق والمغرب، وما بينهما، ويبين لهم انه لو كانت لديهم عقول سليمة لا بد أن يدركوا هذه الأشياء، ويوضح لهم انه لو لم تعطلوا عقولكم لما خفي عليكم معرفة من خلق هذه الأرض، وما عليها، ولما تخليتم عن عبادة ربكم، ورب آبائكم الأولين، وتحولتم إلى عبادة فرعون الذي لا يختلف عنكم في شيء، سوى أنكم ملكتموه أمركم، فاستعلى عليكم، واستخف بكم، واستعبدكم.

وعندما أدرك فرعون عجزه وعدم قدرته على محاورة موسى عليه السلام وتأكد له انه لا قدرة له على ثني موسى على عزيمته، وقوة إصراره، عن طريق الحوار والجدال، تحول إلى أسلوب التهديد، والوعيد.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِن اتخَذْتَ إِلَهاً غَيرِي لَأجعلَنكَ مِن المسجونِين﴾(40).

ولما رأى موسى أن كل ما قدم من دلائل عقلية لفرعون لم تجد معه نفعا، بل زادته إصراراً على العناد والكفر، وإنكار الحقيقة، وأنه سيلقيه في السجن إذا أصر على المضي في دعوته لعبادة الله الواحد القهار، تحول موسى عليه السلام إلى تقديم الأدلة المحسوسة التي لا مجال للشك فيها، فقال أتجعلني من المسجونين حتى لو جئتك بدليل ظاهر، وآية بينة تؤكد صدق دعواي.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَو لَو جِئْتُك بِشَيءٍ مبِين قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِن الصادِقِين فَألْقَى عصاه فَإِذَا هِي ثُعبان مبِين ونَزع يده فَإِذَا هِي بيضاء لِلناظِرِين﴾(41).

وعند ظهور هذه المعجزة تملك فرعون الخوف، وأنساه ادعاءه الربوبية، وحطه إلى حضيض الخضوع لعبيده، والامتثال لأمرهم بعد أن كان مستخفا بهم مستقلا عنهم، في الرأي والتدبير(42).

إلا أن فرعون مازال يكابر ويعاند ويحاول إخفاء الحقيقة، ويتهم موسى عليه السلام بالساحر.

﴿قالَ لِلْملأِ حولَه إِن هذَا لَساحِر علِيم يرِيد أَن يخْرِجكُم مِن أَرضِكُم بِسِحرِهِ فَماذَا تَأْمرون قَالُوا أَرجِه وأَخَاه وابعثْ فِي المدائِن حاشِرِين﴾(43).

وطلب فرعون من موسى أن يجعل له موعدا يتقابل فيه مع السحرة، وهذا كان من أهم المقاصد التي يسعى إليها موسى عليه السلام ليظهر تلك الآيات التي زوده الله بها، جهرة بحضرة الناس، وكان يهدف إلى حضور أكبر عدد من القوم، بان جعل الموعد يوم الزينة، وهو يوم عيد من أعيادهم، وأن يكون ضحى في أول النهار، في وقت انتشار ضياء الشمس فتكون المشاهدة واضحة، والحق أظهر، وأجلى(44).

لعل ذلك يجعل فرعون يستيقظ من غفلته، ويثوب إلى رشده ويؤمن بأن رب العالمين هو رب السماوات والأرض، وما بينهما، وهو الذي أرسل موسى بالآيات البينات، ليحرر قوم فرعون من الخرافات، والأوهام التي عاشوها مع فرعون وأكرههم عليها، وفيه دعوة للنظر والتأمل، في الظواهر الكونية، الدالة على وجود الله، فاطر السماوات والأرض، ونبذ التقليد والتبعية القائمة على تعطيل الفكر وإبعاده عن التفكير، في حقائق الأشياء ومسبباتها.

قال تعالى ﴿فَجمِع السحرةُ لِمِيقَاتِ يومٍ معلُومٍ وقِيلَ لِلناسِ هلْ أَنتُم مجتَمِعون لَعلنَا نَتبِع السحرةَ إِن كانُوا هم الغَالِبِين﴾(45).

ويلتقي الفريقان، ويتقدم موسى عليه السلام، ويوعظ السحرة ويحذرهم، من تعاطي السحر بالباطل، ويلفتهم إلى ما هم فيه من ضلال لعلهم يرجعون

Copy from bulletin.7april.edu.ly

على ما هم عازمون عليه من استعمال السحر في معارضة آيات الله وحججه وتداول السحرة فيما بينهم ما قاله موسى عليه السلام واختلفوا، فمنهم من قال هذا تذللا من موسى وضعفا، ومنهم من قال إن هذا كلام نبي مرسل، ومنهم من قال بل هو ساحر(46).

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهم موسى ويلَكُم لاَ تَفْتَروا علَى اللهِ كَذِباً فَيسحِتَكُم بِعذَابٍ وقَد خَاب من افْتَرى فَتَنَازعوا أَمرهم بينَهم وأَسروا النجوى قَالُوا إِن هذَان لَساحِران يرِيدان أَن يخْرِجاكُم من أَرضِكُم بِسِحرِهِما ويذْهبا بِطَرِيقَتِكُم المثْلَى فَأَجمِعوا كَيدكُم ثُم ائْتُوا صفا وقَد أَفْلَح اليوم من استَعلَى قَالُوا يا موسى إِما أَن تُلْقِي وإِما أَن نكُون أَولَ من أَلْقَى قَالَ بلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهم وعِصِيهم يخَيلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم أَنها تَسعى فَأَوجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنك أَنْتَ الأَعلَى﴾(47)، وكان السحرة متشوقين إلى نتيجة المعركة، ظنا منهم أنهم الغالبون قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَما أَلْقَوا سحروا أَعين الناسِ واستَرهبوهم وجاءوا بِسِحرٍ عظِيمٍ وأَوحينَا إِلَى موسى أَن أَلْقِ عصاك فَإِذَا هِي تَلْقَفُ ما يأْفِكُون﴾(48).

ويقف موسى وقفة الواثق من نفسه، المتيقن من نصر الله، وتأييده له، بما زوده به من الآيات البينات.

قال تعالى: ﴿ولَقَد أَرسلْنَا مِن قَبلِك رسلاً إِلَى قَومِهِم فَجاءوهم بِالْبينَاتِ فَانتَقَمنَا مِن الَذِين أَجرموا وكَان حقًّا علَينَا نَصر المؤْمِنِين﴾(49).

وواجه موسى عليه السلام السحرة وأكد لهم بطلان سحرهم .

قال تعالى: ﴿فَلَما أَلْقَوا قَالَ موسى ما جِئْتُم بِهِ السحر إِن الله سيبطِلُه إِن الله لاَ يصلِح عملَ المفْسِدِين ويحِق الله الحق بِكَلِماتِهِ ولَو كَره المجرمون﴾(50).

وتأتي اللحظة الحاسمة، ويأمر الله موسى بإلقاء عصاه، وتنقلب العصا إلى حية ضخمة، تخيف وترعب كل من يشاهدها، وبدأت تلقف كل ما حولها

من الحبال والعصي، التي ألقاها السحرة، الواحدة تلو الأخرى، التي كانت قبل قليل تسحر أعين الناس، وترهبهم.

وتنجلي المعركة عن انتصار الحق، وهزيمة الباطل، وكانت المفاجأة كبيرة لكل المشاهدين باستثناء موسى وهارون، إلا أن وقعها كان مختلفا، فبالنسبة إلى السحرة كانت لهم آية، على طريق الإيمان، والهداية والتخلص من أوهام السحر، والإيمان برب موسى وهارون، والكفر بفرعون، وما يدعوهم إليه، من ظلم وضلال، أما فرعون فقد زادته كفرا وطغيانا ومعارضة للحق قال تعالى ﴿وقُلْ جاء الحق وزهقَ الباطِلُ إن الباطِلَ كان زهوقاً﴾(51).

وينتهي المشهد بسجود السحرة، وارتفاع أصواتهم، مهللين بكلمة الإيمان برب العالمين، وهذه المرة السحرة هم الذين يجيبون عن سؤال فرعون، لموسى عندما سأله من رب العالمين؟ في تحد سافر لفرعون، الذي أضلهم وجعلهم يعيشون في الأوهام، والذل والعبودية، سنين طويلة، وكانت المفاجأة مؤلمة، والهزيمة مرة، لفرعون وأتباعه، عندما شاهدوا السحرة ساجدين، على الأرض قائلين بصوت عال آمنا برب هارون وموسى.

لا شك أن الموقف صعب، وذل الهزيمة يلحق بفرعون وأتباعه أمام هذا الجمع الغفير، الذي عمل هو على جمعه، ويفقد فرعون صوابه، ويتوعد السحرة بالعذاب الشديد، إلا أن ذلك لم يعد مجديا لفرعون، فالسحرة عرفوا الحق وآمنوا به فلم يثنيهم عن ذلك أي تهديد أو وعيد، قال تعالى: ﴿فأوجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى قُلْنَا لا تَخَفْ إنك أَنْتَ الأعلى وَألْق ما فِي يمِينِك تَلْقَفْ ما صنَعوا إنما صنَعوا كيد ساحِرٍ ولا يفْلِح الساحِر حيثُ أَتَى فَأُلْقِي السحرةُ سجداً قَالُوا آمنا بِرب هارون وموسى قَالَ آمنتُم له قَبلَ أن آذَن لَكُم إنه لَكِبِيركُم الذِي علمكُم السحر فَلأُقَطعن أَيدِيكُم وَأرجلَكُم من خِلافٍ ولأُصلبنكُم فِي جذُوعِ النخْلِ ولَتَعلَمن أَينَا أَشَد عذَاباً وَأبقَى﴾(52).

Copy from bulletin.zaprint.edu.ly

والمتأمل فيما يقصه القرآن من أخبار الأمم السابقة، والمشاهد التي دار فيها الجدل والحوار، بين الأنبياء وعباد الله الصالحين الداعيين إلى الله الواحد القهار، الخالق لكل شيء، وبين أولئك الطغاة الذين عميت بصائرهم عن إدراك الحق، المعطلين عقولهم عن التفكير والتبصر، في أنفسهم وفيما حولهم، يرى في ذلك دعوة البشرية جمعاء إلى التفكير والتفكر في خلق الله، ليتحرر العقل الإنساني من أوهام الشرك والوثنية، ويتخلص من إتباع أولئك الطغاة الضالين المضللين الذين يظهرون في كل زمان ومكان.

قال تعالى ﴿ذلِك مثلُ القَومِ الذِين كذبوا بِآياتِنَا فَاقْصص القَصص لعلهم يتَفَكرون﴾(54).

وفي تناول القران أخبار الأمم السابقة مجالات واسعة، وآفاق رحبة، للتفكر والتدبر، ومنهج واضح للدعوة إلى دين الله، وقواعد ثابتة وأسس متينة للحوار والمجادلة، لإثبات الحق، ودحض الباطل، بأسلوب يتسم باللين في القول، والحسنى في المجادلة، والتحلي بالصبر، والحكمة والتواضع، ولين الجانب، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك المنهج إشارات واضحة قال تعالى: ﴿فَقُولا لَه قَولاً ليناً لعله يتَذَكر أَو يخْشَى﴾(55)، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ادع إِلَى سبِيلِ ربك بِالْحِكْمةِ والْموعِظَةِ الحسنَةِ وجادِلْهم بِالَتِي هِي أَحسن إِن ربك هو أَعلَم بِمن ضل عن سبِيلِهِ وهو أَعلَم بِالْمهتَدِين﴾(56).

وقال تعالى: ﴿فَبِما رحمةٍ من اللهِ لِنتَ لَهم ولَو كُنتَ فَظا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضوا مِن حولِك فَاعفُ عنْهم واستَغْفِر لَهم وشَاوِرهم فِي الأَمر﴾(57).

من هنا يمكن القول إجمالا بان تحرير العقل الإنساني يكمن في التحرر من عبودية السلطان والجاه، والتخلص من عبادة المال والأشخاص، والتوجه بالكلية إلى عبادة الله وحده، خالق الكون ومدبر أمره.

Copy from bulletin.zaptu.edu.ly

وبهذا يسلم العقل البشري من مرض تأليه الإنسان في الأرض، الذي أدى إلى الطغيان، واستعباد البشر، وظهور النخبة المختارة، كما ينفي عنه مرض التمييز العنصري،و يتأكد له أنه لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا أسود ولا أبيض، إلا بالتقوى، وإخلاص العبودية لله، والعمل الصالح(58).

وهذا ما نجده واضحا فيما يورده القرآن الكريم، من أخبار الأمم السابقة، ومن المشاهد الحوارية، والآيات البينات التي تنير الطريق للباحثين عن الحقيقة، وتخلص العقل البشري من ضلالات الشرك، والأوهام والخرافات، وتحرره من التقليد الأعمى والتبعية المضللة، وتفتح أمامه آفاق واسعة للتفكير السليم، والإرادة الحرة .قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(59).

ومن خلال ما تم عرضه يمكن استخلاص الآتي:

1) إن القران الكريم كان من أهم العوامل التي دفعت المسلمين إلى التفكير المنطقي السليم، وأن جل سوره وآياته تدعو العقل الإنساني إلى النظر والتأمل في ملكوت السماوات والأرض.
2) إن العقل البشري مهما بلغ من السلامة، والصفا فهو قاصر عن إدراك الحقيقة، والوصول إلى المعرفة اليقينية، وبحث كل قضايا الوجود.
3) إن التأمل والنظر في الظواهر الكونية، والتفكير في خلق السماوات والأرض هو الموصل إلى المعرفة اليقينية، بحقيقة هذا الوجود، ومن أوجده وسر وجوده.
4) إن الإيمان الحقيقي، والمعرفة اليقينية، المبنية على إعمال الفكر، والنظر والتأمل في ملكوت السماوات والأرض، والتفكير في خلق الله تجعل

Copy from bulletin.zaytuna.edu.ly

صاحبها لا يبالي بما يلقى من العنت، وكل صنوف العذاب في سبيل الدعوة إلى الحق، والجهاد من أجله، ولا يثنيه عن ذلك أي تهديد أو وعيد .

5) إن كف العقل وصرفه عن التفكير السليم مدعاة للكفر والعناد، والتكبر والإعراض عن آيات الله.

6) إن أسلوب التهديد والوعيد، والانتقام والتعذيب من صفات الجهلة والعاجزين، والطغاة والمتجبرين.

الهوامش:

1) سورة الأعراف: الآية (185).
2) سورة يس: الآيات (77: 79).
3) انظر الحافظ بن كثير، قصص الأنبياء. تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الفجر للتراث، القاهرة طبعة بدون تاريخ، ص54: 60، وانظر تفسير ابن كثير في تفسير سورة هود الآية 25، وانظر أحمد البرك الأميري، فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، ط1، دار القلم دمشق، 1420هـ/ 2000م، ص66.
4) سورة هود: الآيات (25: 27).
5) سورة المطففين: الآيات (29: 33).
6) انظر أحمد البرك الأميري، فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، مصدر سبق ذكره، ص76، 77.
7) سورة هود الآية 30
8) انظر تفسير بن كثير، سورة الأنعام: الآية (52).
9) سورة هود: الآية (31).
10) سورة هود: الآية (32).
11) سورة الشعراء: الآية (116).
12) سورة نوح: الآيات (5: 20).
13) انظر أحمد البرك الأميري، فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، مصدر سبق ذكره، ص100.

Copy from bulletin7april.edu.ly

14) انظر المصدر السابق، ص103.

15) سورة نوح: الآية (27).

16) سورة القمر: الآية (10).

17) سورة الأنعام: الآيات (75- 79).

18) سورة الأنعام: الآيات (80– 81).

19) سورة الشعراء: الآيات (69– 77).

20) سورة الأنبياء: الآيات (61– 67).

21) سورة محمد: الآية (7).

22) سورة البقرة: الآية (258).

23) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبدا لله بن أحمد بن محمود النسفي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2001م، في تفسير سورة الأنبياء الآية 68، وانظر تفسير ابن كثير مصدر سبق ذكره، في نفس الآية، وانظر أبي الفداء عماد الدين إسماعيل ابن كثير، قصص الأنبياء، المكتبة التوفيقية، القاهرة طبعة بدون تاريخ ص121– 122– 123.

24) سورة الصافات: الآية (97– 98).

25) سورة البقرة: الآيات (6-7).

26) سورة السجدة: الآيات (6-9).

27) سورة الروم: الآية (8).

28) سورة فصلت: الآية (53).

29) سورة طه: الآيات (43- 44).

30) سورة طه: الآية (47).

31) سورة طه: الآية (49).

32) سورة طه: الآية (50).

33) سورة طه: الآية (51).

34) سورة طه: الآية (52– 53).

Copy from bulletin.zarit.edu.ly

35) سورة النازعات: الآيات (21- 25).

36) انظر تفسير سورة القصص لابن كثير الآية 38.

37) سورة الزخرف: الآية (51).

38) سورة الزخرف: الآية (54).

39) سورة الشعراء: الآية (27).

40) سورة الشعراء الآية (29).

41) سورة الشعراء: الآيات (30- 33).

42) انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سبق ذكره، ص274- 275، وانظر ليلى حسن سعد الدين، أديان مقارنة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 1985، ص54، وانظر تفسير سورة الشعراء: الآيات من(30– 33) لأبي السعود مصدر سبق ذكره، وانظر تفسير ابن كثير لنفس السورة والآيات مصدر سبق ذكره.

43) سورة الشعراء: الآيات (34- 36).

44) انظر تفسير سورة طه: الآيات (50- 59) لأبي السعود مصدر سبق ذكره.

45) سورة الشعراء: الآيات (38- 40).

46) انظر ليلى سعد الدين، أديان مقارنة مصدر سبق ذكره، ص55.

47) سورة طه: الآيات (61- 68).

48) سورة الأعراف: الآيات (116- 117).

49) سورة الروم: الآية (47).

50) سورة يونس: الآيات (81- 82).

51) سورة الإسراء: الآية (81).

52) سورة طه: الآيات (67– 73).

53) فؤاد مخيمر، منهج الله في هداية البشر، ط1، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة بدون تاريخ، ص19.

54) سورة الأعراف: الآية (176).

Copy from bulletin.zaytuna.edu.ly

55) سورة طه: الآية (44).

56) سورة النحل: الآية (125).

57) سورة آل عمران: الآية (159).

58) محمد ياسين عريبي، تأملات في المجتمع الإسلامي، طبعة1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لا.ت، ص42.

59) سورة يوسف: الآية (111).

Copy from bulletin.7aprilu.edu.ly